تلال كالفيلة البيضاء

قصة لأرنست همنغواي

ترجمة علي سعود عطية

كانت التلال عبر وادي نهر الايبرو بيضاء متطاولة اما في الجانب القريب من الوادي فلم يكن ظلال ولا اشجار . كانت المحطة تحت اشعة الشمس بين خطين من خطوط السكة الحديدية . وكان يواجه جانب المحطة ملاصقا له ظله الدافيء وكان هناك ستار مصنوع من خرز البامبو يتدلى داخل البار ليمنع دخول الذباب . وجلس الشاب الاميركي وفتاته الى طاولة في الظل . كان الطقس حارا وقطار الاكسبرس الذي يأتي من برشلونة سيصل في مدى اربعين دقيقة وقد اعتاد ان يقف في هذه المحطة لمدة دقيقتين ثم يتابع سيره الى مدريد .

سألت الفتاة « ماذا نشرب ؟ » كانت قد خلعت قبعتها ووضعتها على الطاولة .

واجاب الشاب « ان الطقس شديد الحرارة » .

قالت « دعنا نشرب بيرة » .

ونادى الشاب « ايها الخادم » موصلا صوته الى داخل الستار .

وسألت امرأة من الباب « اتريدانها من الحجم الكبير ؟ م

« نعم زجاجتان من الحجم الكبير » .

واحضرت المرأة كأسي بيرة وورقتين من النوع المقوى لتضع الكأسين عليهما . ووضعت الورقتين وكأسي البيرة على الطاولة ثم نظرت الى الشاب والفتاة . كانت الفتاة تنظر بعيدا الى خط التلال . كانت التلال بيضاء تحت اشعة الشمس . وكانت ارض الريف رمداء جافة .

« ان التلال تبدو كأنها فيلة بيضاء » .

« لم يسبق لي ان رأيت واحدا » وشرب الشاب كأسه من البيرة .

« كلا فليس هذا باستطاعتك » .

وقال الشاب « ما يدريك ؟ فمجرد قولك اني لا استطيع لا يبرهن على شيء » .

نظرت الفتاة الى الستار الخرزي « لقد خطوا على الستار شيئا ، قل لي ماذا تفهم من هذا الشكل » .

، انه نوع من المشروب » .

« الا نجربه ؟ » .

وصاح الشاب مخاطبا من في داخل الستار قائلا « « الفتى » .

وجاءت المرأة من داخل البار .

« اربع طلبات » .

« نريد اثنين من ANIS DEL TORO

« ممزوجة بالماء » .

وسأل الشاب فتاته « هل تريدينه ممزوجا بالماء ؟ »

فردت الفتاة « لا ادري » وقالت « هل المشروب لذيذ مع الماء ؟ »

« انه مناسب » .

وسألت المرأة « تريدانه ممزوجا بالماء ؟ »

« اجل بالماء » .

وقالت الفتاة « ان طعمه مثل السوس » ثم وضعت الكأس .

« هذه طريقتك مع كل شيء » .

وقالت الفتاة « اجل » واضافت « كل شيء له طعم السوس ، خاصة تلك الاشياء التي نبذل وقتا طويلا في انتظارها كالخمرة المعتقة التي تذهب بالعقل مثلا » .

« اوه ، كفي عن هذا الكلام » .

فقالت « انت ، الذي بدأت » واردفت الفتاة « كنت انا مسرورة ، كنت امضي وقتا جميلا » .

« هلمي نحاول الاستمتاع بوقتنا » .

« حسنا ، لقد كنت احاول ذلك عندما قلت ان الجبال تشبه الفيلة البيضاء ، الم تكن ملاحظة ثاقبة ؟ »

« كانت كذلك » .

كما اني حاولت ان اجرب هذا الشراب الجديد ، اليس هذا كل ما نستطيع ان نقوم به ، التطلع الى الاشياء ومحاولة تجربة انواع الاشربة الجديدة ؟ »

« اظن ذلك » .

ونظرت الفتاة بعيدا الى التلال .

وقالت « انها تلال حلوة » واضافت « وهي لا تشبه في الحقيقة الفيلة البيضاء ، الذي كنت اقصده لون ادمها عبر الاشجار » .

« الا نأخذ شرابا اخر ؟ »

« لا بأس » .

وحركت الريح الدافئة الستار الخرزي ناحية الطاولة التي يجلسان اليها .

وقال الشاب « البيرة لذيذة وباردة » .

ردت الفتاة « انها عذبة » .

وقال الشاب « ان العملية في منتهى البساطة يا جيج ، في الحقيقة انها ليست عملية على الاطلاق » .

ونظرت الفتاة الى الارض التي كانت تقوم عليها قوائم الطاولة .

« انا اعلم انها لن تؤثر عليك يا جيج ، في الحقيقة انها ليست بشيء ، انها فقط تجعل الهواء يدخل » .

لم تعلق بشيء .

« سأذهب معك ، وسأبقى معك طيلة الوقت ؟ انهم فقط يدخلون الهواء الى الداخل ، وبعد ذلك يصبح كل شيء طبيعيا »

« وبعد العملية ماذا سنصنع ؟ »

« سنكون في حالة لطيفة بعدئذ ، تماما كما كنا من قبل » .

« ما الذي يجعلك تفكر بهذه الكيفية ؟ »

« انها الشيء الوحيد الذي يقلق بالنا . انها الشيء الوحيد الذي حرمنا السعادة » .

وتطلعت الفتاة الى الستار الخرزي ، ومدت يدها وامسكت بخيطين من خيوطه الخرزية . « وبعد العملية انت تظن بالطبع اننا سنكون كما نهوى ، سعيدين . »

« انا اعرف اننا سنكون ، ليس لك ان تخافي ، لقد عرفت الكثيرات ممن اجرينها » .

« وانا اعرف ايضا قالت الفتاة مضيفة » وبعدها كن جميعهن سعيدات » .

وقال الشاب « حسنا ، واذا كنت لا تريدين ان تجريها فلا تفعلي ، فاذا كنت لا تريدين فانا لن اجبرك ، ولكن الذي اعرفه انها جد بسيطة»

« وانت هل تريدني ان اقوم بها حقيقة » .

« اظن انها افضل شيء ممكن ان نقوم به . ولكني لا اريدك ان تجريها اذا كنت لا ترغبين في ذلك » .

« ولكن اذا اجريتها ستكون سعيدا والاشياء ستصبح كما كانت بالنسبة لنا ، وستعود تحبني » .

« انا احبك الان ، انك تعلمين هذا » .

« اعلم ، ولكن اذا اجريتها سيكون الامر اجمل ثانية وستنتصت لي اذا قلت ان التلال تشبه الفيلة البيضاء، اليست ستحبها عندئذ اكثر مني» .

« سأحبها ، احبها الان ، ولكني لا استطيع تصورها ، انت تعلمين كيف تصبح حالتي عندما اقلق » .

« اذا قمت بها أفلن تقلق ابدا ؟ »

« لا » .

« اذن سأجريها ، لاني لا اهتم بنفسي » .

« ماذا تعنين ؟ »

« لا تهمني نفسي » .

« اهتم بك » .

« اوه ، اجل ، ولكني لا اهتم بنفسي ، وسوف اجريها وبعدها سيغدو كل شيء جميلا » .

« انا لا اريدك ان تجريها اذا كنت تشعرين هذا الشعور » .

ووقفت الفتاة ومشت الى نهاية المحطة ، وكان على الطرف الاخر من المحطة حقول من القمح واشجار على طول شاطىء نهر الايبرو ، وبعيدا فيما وراء النهر كانت الجبال ، وتحرك ظل سحابة عبر حقل القمح ، ورأت الفتاة النهر . من خلال الاشجار .

قالت « سيكون لنا كل هذا ، سيكون لنا كل شيء ، ولكننا كل يوم نزيد من استحالة سعادتنا » .

« ماذا قلت ؟ »

« قلت كان باستطاعتنا ان نحصل على اي شيء » .

« ما زال باستطاعتنا ذلك » .

« كلا . لا نستطيع » .

« بامكاننا ان نحتوي العالم كله بين ايدينا » .

« كلا ، لا نستطيع » .

« نستطيع ان نذهب الى اي مكان » .

« كلا ، لا نستطيع » .

« ان ما تقوله ليس لنا بعد اليوم » .

« انه لنا » .

« كلا انه ليس لنا ، انهم اذا اخذوه منا مرة فانك لا تستطيع ان تستعيده » .

« ولكنهم لم يأخذوه بعد » .

« انتظر وسترى » .

قال « عودي الى الظل » واضاف « ينبغي الا تفكري بهذه الطريقة» .

قالت « انا لا افكر باي شيء » واردفت « انا اعرف الاشياء فقط» .

« انا لا اريدك ان تفعلي اي شيء لا تريدين فعله » .

قالت « ولا الاشياء غير النافعة لي » واضافت « انا عارفة ، هل بالامكان ان نطلب بيرة اخرى » .

« حسنا ولكن عليك ان تتأكدي » .

« انا متأكدة ، اليس ممكنا ان نوقف الحديث ؟ »

وجلسا على الطاولة ونظرت الفتاة الى التلال على الجانب الجاف من الوادي اما الشاب فكان ينظر اليها والى الطاولة .

« عليك ان تتأكدي انني لا اريدك ان تجريها اذا كنت لا تريدين ذلك ، انني راغب تماما ان امضي بها ان كان ذلك يهمك » .

بالطبع تهمني « الا تهمك انت ؟ لنستطيع ان نمضي بها » .

« بالطبع تهمني ، ولكني لا اريد سواك . انا لا اريد احدا اخر ، وانا افهم انها عملية في منتهى البساطة » .

« حقا ، فانت تعلم انها بسيطة تماما » .

« هل لك ان تؤدي لي خدمة الان ؟ »

« على استعداد ان افعل اي شيء من اجلك » .

« هل تسمح ، من فضلك ، من فضلك ، من فضلك ، من فضلك ، من فضلك ، من فضلك ، ان نوقف الحديث ؟ »

لم يقل اي شيء ولكنه نظر الى الحقائب المرتكزة على جدار المحطة، كان عليها بطاقات من جميع الفنادق التي قضيا فيها لياليهما .

قال « ولكني لا اريد » واضاف « انا لا اهتم بها بشكل من الاشكال » .

قالت الفتاة « سأصرخ » .

وخرجت الخادمة من خلال الستار بكأسين من البيرة ووضعتهما على الورق المقوى .

قالت الخادمة « القطار يصل في مدى خمس دقائق » .

وسألت الفتاة « ماذا تقول ؟ »

« تقول ان القطار سيصل في خمس دقائق » .

وابتسمت الفتاة للمرأة ابتسامة مشرقة لتشكرها .

وقال الشاب « من الافضل ان انقل الحقائب الى الجانب الاخر من المحطة » .

ابتسمت الفتاة له .

« حسنا ، ارجع لنكمل شرب البيرة » .

والتقط الحقيبتين الثقيلتين ودار بهما الى الشريط الاخر من المحطة ، وتطلع بعيدا الى شريط السكة ولكنه لم يستطع ان يرى القطار. وبينما كان راجعا دلف الى داخل غرفة البار ، حيث كان المنتظرون يشربون . وشرب ANIS وراح يتطلع الى الناس ، كانوا جميعهم ينتظرون بتعقل قدوم القطار . وخرج من خلال الستار الخرزي . كانت الفتاة تجلس على الطاولة وعندما رأته ابتسمت .

« هل انت في حالة افضل الان ؟ »

قالت « انا مسرورة » واضافت « لا يوجد ما يضايقني ، انا مسرورة » .

شعر

من منشورات دار الاداب

وجدتها	فدوى طوقان
وحدي مع الايام	فدوى طوقان
اعطنا حبا	فدوى طوقان
عيناك مهرجان	شفيق معلوف
قصائد عربية	سليمان العيسى
الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
مدينة بلا قلب	احمد عبد المعطي حجازي
ابيات ريفية	عبد الباسط الصوفي
رسائل مؤرقة	سليمان العيسى

دار الاداب

بيروت ـ ص.ب ٤١٢٣